

الخرائج والجرائع

[980] فصل فان قيل: لعل من تقدم محمدا صلى الله عليه وآله كامرئ القيس وأضرابه لو عاصره لامكنه معارضته. قلنا: إن التحدي لم يقع بالشعر فيصح ما قلته، ومن كان في زمانه صلى الله عليه وآله وقريبا منه لم تقصر بلاغتهم في البدلة عن بدلهم، كامرئ القيس، بل كانت في زمانه قريبا منه من قدم في البلاغة على من تقدم. ولانه صلى الله عليه وآله ما كلفهم أن يأتوا بالمعارضة من عند أنفسهم، وإنما تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم من كلامهم، أو كلام غيرهم ممن تقدمهم. فلو علموا أن في كلامهم ما يوازي بلاغة القرآن لاتوا به، وقالوا (1): إن هذا كلام من ليس بنبي (2) وهو مساو للقرآن في بلاغته. ومعلوم أن محمدا صلى الله عليه وآله ما قرأ الكتب، ولا تتلمذ لاحد من أهل الكتاب، وكان ذلك معلوما لاعدائه، ثم قص عليهم صلى الله عليه وآله قصة (3) نوح، وموسى، ويوسف، وهود وصالح، وشعيب، ولوط، وعيسى وقصة مريم على طولها. فما رد عليه أحد من أهل الكتاب شيئا منها، ولا خطأوه في شيء من ذلك. ومثل هذه الاخبار لا يتمكن منها بالبحث (4) والاتفاق، وقد نبه الله تعالى بقوله: (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم) (5) ونحوها (6) من قصص الانبياء وامم الماضين. (7) _____ (1) " ولقالوا " (البحار، 2) " بمنئ " البحار. (3) " قصص " البحار. (4) " الا بالتبخت " البحار. (5) سورة يوسف: 102. (6) " ونحو ذلك " البحار. (7) عنه البحار: 2 / 162. [*]